عَنِ الطُّفُولَةِ..

* عَصَافِيرُ الطُّفُولَةِ لا تَبْرَحُ أَغْصَانَ الذَّاكِرَةِ، إِنَّهَا تَنْقُرُ فَوْقَ الأَبْوَابِ الموصَدَةِ.. مُذَكِّرَةً بِأَنَّ ثَمَّةَ صَبَاحًا جَمِيلًا لا يُوَارِبُ وَجْهَهُ لِلمَسَاءَاتِ الرَّمَادِيَّةِ.. وَثَمَّةَ فَرَحًا بَهِيًّا لا يُدِيرُ ظَهْرَهُ لِعَبَقِ الرَّبِيعِ الآتِي مِنْ هُنَاكَ..

* يَظَلُّ الصِّغَارُ المُنْهَمِكُونَ فِي وَلائِهِمْ لِطُفُولَتِهِمُ الآسِرَةِ، غَيْرَ عَابِئِينَ بِسِلالِ الحِكَمِ تَرْطُنُ بِهَا أَلسِنَةُ الكِبَارِ، غَيْرَ مُكْتَرِثِينَ بِأَسْرَابِ النَّصَائِحِ العَاقِلَةِ تُرْشَقُ بِهَا طُفُولَتُهُمُ الوَاثِقَةُ، غَيْرَ مُبَالِينَ بِوَابِلِ اللاءَاتِ النَّاهِرَةِ صِبَاهُمُ المُتَمَرِّدَ، غَيْرَ مَعْنِيِّينَ بِالنَّوَاهِي وَالزَّوَاجِرِ تَهْطِلُ عَلَى سَمْعِ طُفُولَتِهِمُ المُمْعِنَةِ فِي طُفُولَتِهَا لِتَزِيدَهَا شَقَاوَاتٍ وَانْدِفَاعًا وَاحْتِفَاءً بِها.. بِهِمِ..!

* مَا أَشَدَّ قَتَامَةَ الحَيَاةِ لَوْلا الصِّغَارُ الَّذِينَ يَزْرَعُونَ دَقَائِقَهَا فَرَحًا، وَيُبَسْتِنُونَ الزَّمَنَ إِشْرَاقًا وَآمَالًا وَأُغْنِيَاتٍ.. وَيُزْهِرُونَ فِي رِحَابِهَا وَطَنًا وَغِنَاءً وَنُجُومًا وَعَصَافِيرَ.. لَوْلا الصِّغَارُ الَّذِينَ يُبَارِكُونَ الأَعْيَادَ بِضَحَكَاتِهِمُ المشْرِقَةِ.. وَيُضِيئُونَ النَّهَارَاتِ المُعْتِمَةَ بِابْتِسَامَاتِهِمُ الوَضِيئَةِ.. وَيُوقِظُونَ الحَيَاةَ بِصُرَاخِهِمُ الرَّخِيمِ.. الصِّغَارُ الَّذِينَ يُعِيرُونَ الحَيَاةَ قُلُوبَهُمُ النَّاصِعَةَ لِتَحْيَا.. وَيَمْنَحُونَ

الكَوْنَ أُغْنِيَاتِهِمْ لِيَكُونَ.. يُبِيحُونَ الوُجُودَ حَكَايَاهُمُ الطَّرِيَّةَ لِيَزْهُوَ.. الصِّغَارُ الَّذِينَ يُسَرِّبُونَ لِلعِيدِ فَرْحَتَهُمُ الوَرْدِيَّةَ.. وَيُعِيرُونَهُ زَهْوَهُمْ وَانْدِهَاشَهُمْ.. الصِّغَارُ الَّذِينَ يُهَرِّبُونَ لِقُلُوبِنَا عِطْرَ طُفُولَتِهِمُ النَّضِرَةِ.. وَأَشْوَاقَهُمُ الدَّافِئَةَ.. وَأَغَانِيَهُمُ الصَّبِيَّةَ.. وَأَحْلامَهُمُ الأَنِيقَةَ.. الصِّغَارُ الَّذِينَ يَرْسِمُونَ لِلحَيَاةِ بَهْجَتَهَا، وَلَوْنَ وَجْهِهَا.. وَعُنْوَانَ وُجُودِهَا.. وَمَدَى صَلاحِيَّاتِهَا..

* الطُّفُولَةُ أَجْمَلُ مَا فِي حَيَاتِنَا، فَهْيَ تُسَرِّبُ إِلَيْنَا شَغَبَهَا الجَمِيلَ البَرِيءَ.. وَتُهَرِّبُ لَنَا ضِحْكَاتِهَا اللَّثْغَاءَ الوَدُودَ.. الطُّفُولَةُ الَّتِي تُبِيحُنَا انْطِلاقَهَا، وَلا مُبَالاتَهَا وَجُنُوحَهَا العَفْوِيَّ الرَّهِيفَ.. تَصْطَادُ قُلُوبَنَا بِعَصَافِيرِهَا وَأَلْعَابِهَا وَحَلوَاهَا وَتَقَافُزِهَا..

* تُسَعِّرُ الطُّفُولَةُ خَدَّ بَرَاءَتِهَا لِقَسْوَتِنَا الجحِيمِ.. وَتُهَيِّئُ لَنَا ظَهْرَهَا وَطَنًا جَمِيلًا ذُلُولًا.

* أَسْتَدْعِي طُفُولَتِي الغَافِيَةَ.. أُوقِظُهَا.. أَرْسُمُ وَجْهَ نَهَارٍ.. أَزْرَعُ فِيهِ شَمْسًا.. أَفْرُشُ فِيهِ رَبِيعًا.. أُطْلِقُ فِيهِ عَصَافِيرَ.. وَفَرَاشَاتٍ وَحَمَائِمَ.. أَرْسُمُ وَجْهًا بَاسِمًا لِطِفْلَةٍ حُلوَةٍ.. وَوَجْهَ طِفْلٍ عَبُوسٍ

يُشَاغِبُنِي.. يُنَازِعُنِي حُبَّهَا.. يُقَاسِمُنِي شَقَاوَتِي.. أَنْظُرُ إِلَى دُنْيَايَ الجَمِيلَةِ تَتَشَكَّلُ أَمَامِي بِفُتُونٍ.. أَنْزَعُ وَجْهَ الرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَلُّنِي.. أَخْلَعُهُ عَنْ عَرْشِ قَلْبِي وَأَغِيبُ فِي دُنْيَا مِنْ حُلُمٍ.. عَالَمٍ مِنَ اللَّعِبِ الحَمِيمِ..!

* طُفُولَةٌ مُعْجِزَةٌ تَبْتَكِرُ أَشْيَاءَهَا الحَمِيمَةَ الأَثِيرَةَ.. تَقْتَرِحُ عَلَى الحَيَاةِ جَمَالَهَا.. تُرْغِمُ القَوَامِيسَ وَالمَعَاجِمَ عَلَى تَعْدِيلِ مُحْتَوَاهَا وِفْقَ لُغَاتِهَا الفَصِيحَةِ.. تَرْتَكِبُ اللُّغَةَ الأَحْلَى الَّتِي تُحِبُّ.. وَالمُفْرَدَاتِ الَّتِي تَشَاءُ.. تُنَابِزُ الفَجْرَ بِضِحْكَاتِهَا.. تُشَاغِبُ الصَّبَاحَ بِابْتِسَامَتِهَا.. تُباغِتُ النَّدَى بِصَفَائِهَا..

طُفُولَةٌ تَعْتَقِدُ أَنَّ الأَشْيَاءَ لَهَا.. وَأَنَّ الكَوْنَ مُلكُهَا.. تَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُضَاحِكَهَا، وَالنُّجُومَ أَنْ تُنَاغِيَهَا، وَالشَّمْسَ أَنْ تُنَاجِيَهَا.. تَطْلُبُ مِنَ الغَيْمَةِ الضَّحُوكِ أَنْ تَكُونَ بَيْتًا لِطُفُولَتِهَا، وَمَأْوًى لِشَغَبِهَا البَرِيءِ.. طُفُولَةٌ إِزَاءَهَا تَنْسَى الأَشْيَاءُ نَفْسَهَا.. تَتَعَلَّقُ بِطُفُولَتِهَا.. تَتَمَاهَى مَعَهَا.. تُحِيلُ الكَوْنَ إِلَى طِفْلٍ صَغِيرٍ كَبِيرٍ مِثْلِهَا.

* آهٍ..! سَأُرْسِلُ العُمْرَ وَرَاءً لِيُعَانِقَ مُنْتَصَفَ الفَرَحِ طُفُولَتَهُ الأَحْلَى..

* خُذُوا هَذَا العَمْرَ المُفْزِعَ، وَدَعُوا لِي يَوْمَ طُفُولَةٍ وَاحِدًا.. رَقِيقًا، أَنِيقًا، بَهِيًّا، طَرِيًّا، مُغَيَّبًا عَنِ التَّفْكِيرِ بِدُنْيَا الأَحْزَانِ وَالأَشْجَانِ، وَالتَّفْكِيرِ الزَّاجِرِ الرَّادِعِ، وَالعَقْلانِيَّةِ المَانِعَةِ القَامِعَةِ..!

* تَضِجُّ طُفُولَتِي صَخَبًا.. تَتَرَاكَضُ مَرَحًا.. تَتَقَافَزُ فِي أَثَرِ الصِّغَارِ، مُدِيرَةً ظَهْرَهَا لالفِ نَصِيحَةٍ مُوَقَّرَةٍ.. لِرُجُولَةٍ تُدْمِنُ إِصْدَارَ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي وَالزَّوَاجِرِ، لَكِنَّهَا تَنْزَجِرُ بَاكِيَةً حِينَ يَعْلُو صَوْتُ الرُّجُولَةِ الأَجَشُّ المُخِيفُ، حِينَ تُزَمْجِرُ الرُّجُولَةُ الفَظَّةُ الكَاتِمَةُ لِلفَرَحِ.. الخَانِقَةُ لِلحَيَاةِ.

* مَنْ ذَا يُتَرْجِمُ لِي ضِحْكَةَ طِفْلٍ إِلَى قَرَنْفُلَةٍ.. حَقْلِ لَوْزٍ.. دِيوَانِ شِعْرٍ.. وَنَهْرِ أَغَانٍ..؟

* أَتَحَدَّى لُغَةً مَا أَنْ تُتَرْجِمَ ابْتِسَامَةَ صَغِيرٍ تَرْجَمَةً مُتْقَنَةً مُقْنِعَةً..

* إِنَّ سَعْيَنَا العَبَثِيَّ لِتَرْجَمَةِ الطُّفُولَةِ سَيَظَلُّ مُحَاوَلاتٍ غَبِيَّةً.. وَحَمْقَاءَ..!

* الحَلوَى الَّتِي كَانَتْ تَتَمَنَّاهَا طُفُولَتِيَ الجَوْعَى، تَغُضُّ رُجُولَتِي الآنَ عَنْهَا بَصَرَ الرَّغْبَةِ.

* سَأَرْتَدِي طُفُولَتِي.. فَتَجَهَّزِي يَا زَمَانَاتِ الشَّيْطَنَةِ.

* تَثَاءَبَ الصَّغِيرُ فَنَبَتَ فِي الكَوْنِ حَقْلُ بَرَاءَةٍ..

أَغْفَى فَغَرِقَ الكَوْنُ فِي الأَحْلامِ الوَرْدِيَّةِ..

اِبْتَسَمَ فَأَيْقَظَ كُلَّ فَرَاشَاتِ الكَوْنِ وَعَصَافِيرِهِ وَنَحْلاتِهِ..

* أُقَبِّلُ صَغِيرًا يَسْبَحُ فِي أَحْلامِ المَلائِكَةِ، مُلقِيًا إِلَى عَالَمِ السُّبَاتِ الحَمِيمِ رُوحًا بَرِيئَةً، وَقَلبًا أَخْضَرَ غَضًّا مِثْلَ زَهْرَةٍ، يَصْلُحُ بَيْتًا لِرَبِيعٍ، وَمَوْطِنًا لِلفَرَاشَاتِ، وَمَلجَأً لِلعَصَافِيرِ، وَمَمَالِكَ لِلنَّحْلِ، وَمَنْفًى لِلشُّعَرَاءِ الحَزَانَى.. وَالحَالِمِينَ.. وَالعَاشِقِينَ الحَيَارَى.

* كُلَّمَا رَأَيْتُ طِفْلًا يَلهُو قَفَزَ مِنْ أَعْمَاقِي طِفْلٌ مِثْلُهُ.. يُعَانِقُهُ.. يُشَاكِسُهُ.. يُخَانِقُهُ.. وَحِينَ يُفَارِقُنِي ذَيَّاكَ الطِّفْلُ، يَعُودُ طِفْلُ أَعْمَاقِي إِلَى دَاخِلِي كَسِيرًا بَاكِيًا، مُؤَنِّبًا الرُّجُولَةَ المُوحِشَةَ العَاقَّةَ.. نَاتِفًا شَوَارِبَهَا.. مُنَدِّدًا بِعَقْلانِيَّتِهَا المُبَالِغَةِ الخَانِقَةِ الحَانِقَةِ..!؟

* كُلَّمَا أَطْلَلتُ بِرَأْسِي عَلَى عَالِمِ الكِبَارِ، تَتَشَبَّثُ بِي طُفُولَتِيَ المشَاكِسَةُ..

* أَحْلُمُ أَنْ أَعُودَ طِفْلًا يَتَرَاءَى لَهُ وَجْهُ الأَمْسِ الضَّحُوكِ الصَّبُوحِ.. يَحْضُرُ فِي فَمِهِ طَعْمُ الحَلوَى.. تَسْرُقُهُ رَائِحَةُ خُبْزِ أُمِّهِ، تُعَانِقُهُ وُجُوهُ أَصْدِقَائِهِ، تَسْتَفِزُّهُ خَرْبَشَاتُ أَقْلامِهِمْ، وَضَجِيجُ أَلعَابِهِم، وَصَدَى رَكْضِهِمُ المشَاغِبِ فِي أَثَرِ الفَرَاشَاتِ وَالنَّحْلاتِ وَالعَصَافِيرِ..!

* لَيْسَ ثَمَّةَ أَوْفَى مِنَ الطُّفُولَةِ؛ فَهْيَ تَظَلُّ تُلاحِقُنَا بِدَعَوَاتِ العَوْدَةِ المِلحَاحَةِ إِلَيْهَا.. لِلارْتِمَاءِ مُجَدَّدًا فِي أَحْضَانِهَا حَتَّى النِّهَايَةِ..

* تَتَوَغَّلُ صَغِيرَتِي فِي الرَّبِيعِ، لِيَغْدُوَ صَعْبًا التَّفْرِيقُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الزَّهْرَاتِ..!

* نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَهْيَ تَلهُو، تَمَنَّيْتُ لَوْ أَنَّنِي قَادِرٌ عَلَى تَحْنِيطِ طُفُولَتِي.

* جَمِيلٌ أَنْ تَبْقَى مَعَنَا مِنْ طُفُولَتِنَا ذَاكِرَتُهَا.. لِنُبْقِيَ عَلَى طَزَاجَةِ أَرْوَاحِنَا، لِنُحَافِظَ عَلَى طَرَاوَةِ أَحْلامِنَا، وَصِبَا مَشَاعِرِنَا.. وَنضَارَةِ أَذْوَاقِنَا..

* يَالَشَغَبِهَا النَّبِيلِ، إِنَّهُ يَفْتَحُ نَوَافِيرَ الفَرَحِ عَلَى نُفُوسٍ جَدَّبَهَا الحُزْنُ وَالقَلَقُ، وَذَرَاعَةُ الفَشَلِ البَائِسِ..!

* حِينَمَا تَغْفُو الطُّفُولَةُ تَنَامُ عَلَى وَسَائِدِهَا الحَيَاةُ، وَحِينَمَا تَصْحُو تَفْرُكُ الحَيَاةُ عَيْنَيْهَا لِتَسْتَيْقِظَ مُغْتَبِطَةً بِحُلمٍ دَافِئٍ فِي أَحْضَانِ طُفُولَةٍ بَيْضَاءِ القَلبِ، مُتَرَامِيَةِ الحُبِّ وَالأَحْلامِ وَالأُمْنِيَاتِ..!

* إِنَّنَا نَصْغُرُ حِينَ تَكْبَرُ فِينَا الطُّفُولَةُ.. وَنَتَضَاءَلُ حِينَ تَتَلاشَى طُفُولَتُنَا فِي أَعْمَاقِنَا.

* اِسْتَدِرْ لِلخَلفِ أَيُّهَا الضَّجَرُ البَائِسُ؛ فَفِي الجِوَارِ طِفْلٌ يَحْلُمُ، وَفِي الأَعْمَاقِ آخَرُ يَرْكُضُ.. يَلْثَغُ.. يُغَنِّي.. يَكْتُبُ بِبَرَاءَتِهِ تَارِيخَ النَّقَاءِ.. يُبَارِكُ ذَاكِرَةَ البَرَاءَةِ.. وَيُعِيدُ تَرْسِيمَ مَلامِحِ الطُّفُولَةِ المُثْلَى.

* لِكَيْلا تُدَاهِمَكَ الكَآبَةُ، تَتَرَّسْ بِالطُّفُولَةِ الوَاقِيَةِ، لِكَيْلا تَنَالَ مِنْكَ الأَحْزَانُ، اِلبَسْ لَهَا دِرْعَ الصَّبْرِ.

* لا جَدْوَى مِنْ إِغْرَاءِ طُفُولَتِي بِالكِبَرِ، فَهْيَ مُتَمَسِّكَةٌ أَبَدًا بِحَلوَاهَا وَأَلْعَابِهَا وَشَغَبِهَا البَرِيءِ.. مُتَشَبِّثَةٌ بِشَقَاوَاتِهَا وَشَيْطَانَاتِهَا وَأَحْلامِهَا وَعَرَائِسِهَا وَعَسَاكِرِهَا..

* تَضْحَكُ صَغِيرَتِي فَتَتَنَفَّسُ مِنْ ثَغْرِهَا حَدِيقَةٌ بَاذِخَةٌ.. تُغَنِّي فَتَقْفِزُ مِنْهُ قَصَائِدُ ضَوْئِيَّةٌ.. تُوَشْوِشُنِي فَتَهْبِطُ عَلَى قَلْبِي فَرَاشَاتٌ وَنَحْلاتٌ وَعَصَافِيرُ..

* صَغِيرَتِيَ النَّائِمَةُ لا تَشْخُرُ؛ إِنَّهَا تَعْزُفُ أَلْحَانَ طُفُولَتِهَا، وَتُمُوسِقُ أَحْلامَهَا المُزْهِرَةَ، وَتَسْرِدُ تَفَاصِيلَ شَيْطَانَاتِهَا وَشَقَاوَاتِهَا المُقْتَرَحَةِ فِي الصَّحْوِ التَّالِي.

* الكِتَابُ الَّذِي غَفَا عَلَى وَجْهِ صَغِيرَتِي فَتَحَ جَفْنَيْهِ لِلصَّبَاحِ الصَّبِيِّ.. مَلا قَلْبَهُ بِالأَحْلامِ العَذَارَى، وَأَطْلَقَ أَوْرَاقَهُ بِالغِنَاءِ النَّغُومِ.. وَلَوَّنَ وَجْهَهُ بِأَحْلامِهَا ثُمَّ طَارَ نَحْوَ الشَّمْسِ، بَيْنَمَا

طَارَتْ كَلِمَاتُهُ حَمَائِمَ وَفَرَاشَاتٍ وَعَصَافِيرَ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ غَيْمَاتِ عِطْرٍ ونَدًى وَقَصَائِدَ.

* أَرْسَلَتِ الصَّغِيرَةُ جَنَاحَيْ قُبَلاتِهَا لِتُقَبِّلَ خَدَّ السَّمَاءِ؛ فَأَهْدَتِ السَّمَاءُ لَهَا قُبْلَتَيْنِ نَاعِمَتَيْنِ، وَغَمَرَتِ الكَوْنَ بِالمطَرِ الصَّبِيِّ..

* نَظُنُّ أَنَّنَا نُسْعِدُ أَطْفَالَنَا بِهَدَايَانَا الصَّغِيرَةِ الكَبِيرَةِ.. الرَّخِيصَةِ الغَالِيَةِ.. فَتَفْرَحُ الطُّفُولَةُ فِينَا.. إِنَّنَا نُهْدِي هَدَايَانَا لَنَا، لِـ (أَنَانَا) الطِّفْلَةِ الَّتِي لَمْ تُغَادِرْ مَرَاتِعَ طُفُولَتِهَا.. إِنَّنَا نُهْدِي أَشْيَاءَنَا مِنَّا إِلَيْنَا..

* تُوَشْوِشُنِي الطُّفُولَةُ بِبَرَاءَتِهَا.. تُدَغْدِغُ رُعُونَةَ قَلبِي.. أَنْسَلُّ خَلفَهَا عَلَى أَطْرَافِ رُجُولَتِي.. خَالِعًا وَقَارًا مُزَيْفًا يُقَيْدُنِي مُنْذُ رُجُولَةٍ وَنَيْفٍ..!؟

* تُغْرِينِي الطُّفُولَةُ بِعَسَلِهَا.. بِأَلْعَابِهَا.. بِعَصَافِيرِهَا وَأَقْمَارِهَا وَشُمُوعِهَا وَبَالُونَاتِهَا؛ فَأَنسَرِبُ خَلفَهَا تَارِكًا لَكُم وَقَارَكُمُ الثَّخِينَ، مُهْتَدِيًا بِحِكْمَةِ الطُّفُولَةِ، وَطَلاقَتِهَا العَفْوِيَّةِ.. مُخْتَبِئًا فِي قَلبِهَا

الأَخْضَرِ المحَصَّنِ ضِدَّ الكَذِبِ.. الزَّيْفِ.. الكِبْرِ.. الكِبَرِ.. الشَّيْخُوخَةِ.. كِي لا تَعْثُرُوا عَلَيَّ.. كِي لا أَعُودَ إِلَيْكُمْ أَبَدًا..!

* عَلَى أَصَابِعِيَ العَشْرِ أَعُدُّ وُجُوهَ طُفُولَتِي.. فَأُخْطِئُ.. أُعِيدُ الحِسَابَ فَتَنْمُو طُفُولَتِي.. تَتَسَامَى.. تَتَضَاعَفُ.. تُصْبِحُ أَصَابِعِي مِليُونًا.. وَتُصْبِحُ طُفُولَتِي بِمَلايِينِ الوُجُوهِ الوَسِيمَةِ البَاسِمَةِ المسْتَبْشِرَةِ..

* أُرِيدُ أَنْ أَعُودَ لِطُفُولَتِي الدَّافِئَةِ.. أَتْرُكَ العُمَرَ المسْتَعْجَلَ يُمَارِسُ اِسْتِعْجَالَهُ المقِيتَ وَحِيدًا.. وَأَعُودُ.. طُفُولَتِي تُوسِعُ حِضْنَهَا لِعِنَاقِي.. تُجَهِّزُ لِعَوْدَتِي حَلوَاهَا اللَّذِيذَةَ.. وَضِحْكَاتِهَا الفَاتِنَةَ.. وَشَغَبَهَا البَرِيءَ الدَّفِيءَ.. وَأَحْلامَهَا السَّاحِرَةَ الأَثِيرَةَ.. وَوُعُودَهَا الخَضْرَاءَ المزْهِرَةَ.. سَأُفَتِّشُ عَنْ أَلعَابِي الَّتِي زَعَمَتْ أَنَّهَا كَبُرَتْ عَلَى مَقَاسِ قَلبِي، وَمَا عَادَتْ تَلِيقُ بِصِغَرِهِ المتَنَاهِي.. أَمَا عَلِمَتْ أَنَّهُ تَنَاهَى فِي اِتِّسَاعِهِ حَتَّى غَدَا وَطَنًا..!؟

سَأَبْحَثُ عن وُجُوهِ أَصْدِقَاءَ كُنَّا مَعًا نُلَطِّخُ لَحَظَاتِنَا بِمَاءِ طُفُولَتِنَا النَّقِيِّ.. نَتَنَاهُبُ أَلعَابَنَا بِفَرَحٍ مُشَاكِسٍ.. نُعَطِّلُهَا بِمَكْرِنَا الطُّفُولِيِّ

البَرِيءِ الخَالِي مِنَ العَدَاءِ.. المَنْزُوعِ فَتِيلِ الكَرَاهِيَةِ وَالبَغْضَاءِ.. نَهْدُمُ بُيُوتَنَا الرَّمْلِيَّةَ ثُمَّ نَبْنِيهَا لِنَهْدِمَهَا.. نَتَشَاجَرُ حَولَهَا.. نتَعَادَى بِلا عَدَاءٍ.. نُقَدِّمُ بَيْنَ يَدَيْ طُفُولَتِنَا الكَذُوبِ أَعْذَارَنَا الوَاهِيَةَ المُضْحِكَةَ.. أَعْذَارَنَا الصَّادِقَةَ المُقْنِعَةَ جِدًّا.. نَعُودُ لِنَتَعَانَقَ.. نَخْتَلِفُ عَلَى البِدَايَاتِ دَومًا؛ لَكِنَّ خِتَامَنَا مَمْهُورٌ أَبَدًا بِخَتْمِ الفَرَحِ المُسْتَحَقِّ.. نَتَنَازَعَ مَعَ قِطَعِ الحَلوَى أَقْرَاصَ السُّرُورِ اللَّذِيذَةَ، نَتَقَاسَمُ الضِّحْكَاتِ مِثْلَ عَصَافِيرَ صَغِيرَةٍ.. وَنَعْتَرِكُ عَلَى كُرَةٍ نَتَقَاذَفُهَا بَيْنَنَا.. سَأَعُودُ إِلَى هُنَاكَ.. لا تَخَافُوا عَلَى طُفُولَتِي أَنْ تَضِيعَ، وَلا أَنْ تَضِلَّ الطَّرِيقَ.. فَلَدَيَّ عُنْوَانُ طُفُولَتِي الصَّحِيحُ.. مَعِي طُفُولَتِي الصَّحِيحَةُ، وَمَعِي بَوْصَلَتِي الَّتِي لا تُخْطِئُ؛ وَقَلبُ الطِّفْلِ فِيَّ.. رُوحُهُ وَوِجْدَانُهُ فِيَّ.. أَحْلامُهُ وَأَمَانِيُّهُ لَدَيَّ.. سَأُرَاسِلُكُم مِنْ هُنَاكَ.. مِنَ الجَنَّةِ الَّتِي كَانَتْ لِي.. الفِرْدُوسِ الَّذِي يَدْعُونِي أَبَدًا إِلَيْهِ..

* لَقَدْ كَبِرْتُ..! أَرْكُضُ خَلفَ طُفُولَتِيَ المُنَابِرَةِ قَلبِي بِصِبَاهَا الرَّهِيفِ.. أَرْكُضُ فَلا أَصِلُ إِلَيْهَا.. تُخْرِجُ لِي أَلسِنَةَ طُفُولَتِهَا..

تَرْشُقُنِي بِضِحْكَاتِهَا البَرِيئَةِ.. مُعَيِّرَةً قَلبِي بِالرُّجُولَةِ المبكِّرَةِ.. الرُّجُولَةِ العَاجِزَةِ الكَسِيحَةِ..!؟

* تُوقِظُنِي شَيْخُوخَتِي المبكِّرَةُ.. أَتَأَمَّلُ وَجْهَهَا الشَّاحِبَ.. تُفْزِعُنِي ابْتِسَامَتُهَا المتَجَعِّدَةُ.. تُوَشْوِشُنِي فَأُذْعَرُ.. تُبَشِّرُنِي بِكُهُولَةٍ بَائِسَةٍ تَتَعَثَّرُ فِي كِبْرِهَا وَخَرَفِهَا وَخَوَائِهَا.. تُزْعِجُنِي فَأَسْتَعِينُ عَلَيْهَا بِالطُّفُولَةِ الَّتِي لا تَشِيخُ.. بِالأَحْلامِ الَّتِي لا تَهْرَمُ.. بِالصِّبَا الَّذِي لا يَخُونُ.

* سَأُهَدِّدُ بِكِ طُفُولَتِي أَيَّتُهَا الشَّيْخُوخَةُ المرْعِبَةُ، فَلا تُصَدِّقِي أَنَّكِ قَادِرَةٌ عَلَى إِخَافَةِ يَقِينِي بِالشَّبَابِ الأَبَدِيِّ.

* أَيُّهَا القَمَرُ، بِإِمْكَانِكَ أَنْ تَحْرُسَ مَرَحَنَا البَرِيءَ، وَتُغَنِّيَ مَعَنَا أُنْشُودَةَ الحُلُمِ الجَمِيلِ.